



بالامس كان الجدار يستفزك بصمته و ثباته امام ركلاتك المجنونة المتأبرة.. فانت لم تصدق انه جدار.. او لعلك لم تعد تفهم الفرق بينه و بين ما حولك من كائنات، فصدودهم لك لا يختلف عن إتكاء هذا الجدار الى فراغ، و امتناعه عن ترديد صدائك..

_ها ها ها..

قهقهه ما شئت لان الشمس تخترقك كأنك من زجاج.. و لا ظل لك.

المشقاء المارة على عجل تنظر اليك بازدراء..

_سحنتك مريية، و شرقية بشاربين صداميين؟؟؟؟؟؟؟؟

رجل احمر الوجه يرمقك باشمئزاز.. يذكرك بمعان، و سوطه، و الكرسي الكهربائي، و المروحة التي تعلق فيها بحبل مشدود لساقيك.. و مؤخرتك الدامية و هم يحشرون كل ما أعتادوا على حشره في مؤخرات السجناء حتى لحظة اعترافهم بما ارتكبوه من جرائم، و بما لم يتبينوه من تهمة منسوبة اليهم، لا تعني تفاصيلها بالتأكيد من هو على شفير الموت.. بمعنى آخر كل ما جعلك تقطع القضار مشيا

على الاقدام حتى موضعك هذا من حديقة خضراء منسقة بطريقة لم تعتدها عيناك.

صمتت طويلا قبل رحيلها و تحولت الى أحجية.. غضبك و صراخك لم يجد نفعاً.. إستخدامك للغتك الأهم عند احتدام الخلاف هو المأسوأ..

ربما هو ما دفعها لحمل حقيبتها بلا عودة..؟؟؟؟؟؟؟؟.

الشمس.. رفيقة ماضيك ، و ساعاتك المفضلة لمعرفة الوقت، و بهجة العودة بأكياس طعام.. صارت بخيلة العطاء هنا..

تتصبب عرقا و تستجيب لأوامر "المخلُفة"(1)، لا يعينك الفرق بين الإرغام و الحرية، بين المرضا و الرفض.. ففي نهاية النهار ستشبع بطونا جائعة ، و يتحلق حولك الجميع، ينتظرون ما في جيبيك من حلوى..

أهي الشمس ذاتها؟.. ألم تتغير؟؟....

تخترقك ألآن بسيوف الضياء.. و على العشب النادي الشديد الخضرة دون ذرة غبار لا يرتسم ظلك..؟؟؟؟.

اطفال يهرولون في الحديقة العامة ، يعرفون البهجة فحسب..

بحجمك الصغير هرولت خلف اللقمة..في سوق مزدحم..

خياران فقط على الأغلب تبيينهما والذك يومها..الموت دون علم عراقي يلف نعشه أو الموت ممزقا.. مجهول الهوية في حرب ناقة
المبسوس..

لم يشأ الموت لاجل ناقتها.. و لا أظنه شعر بسعادة الخلاص عندما ربطوه على جذع نخلة يتلون عليه بيان إعدامه، مباركا بزغريد
الماجدات من حوله، و متوجا في النهاية برصاصة رحمة يطلقها رفيق شديد الاخلاص لقائدته المذئذ.

هل كان لك ظل يومها؟

لم تجد الوقت لتفكر.. فصاحب المطعم المجاور يبحث باستمرار عن أية خلوة ليحشر قضيبه في مؤخرتك كما فعل الرفيق معاذ
لاحقا.. ترتعد و تتحاشى اللقاء به.. و كثيرا ما نسيت أمر بضاعتك المهزيلة تاركا إياها للسراق..

الشمس تخونك اليوم.. "الشمس اجمل في بلادى من سواها..والظلام حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضن العراق"(2)..

ما انت بكسيح الساقين، بل كسيح الروح.. و الخليج ليس امامك.. ليس هنالك من فرصة لتأمل الخليج.. هو ايضا اصبح يستأصلك
جغرافيا.. و الناس على سواحله لا يرون سيابك، و لا يريدون تذكره..

جسدك الغريب المثير لإشمزاز المارة.. تخترقه النظرات المستهجنة..

(غريبة من بعد عينك يا يمه..محتارة بزمانى..) (3)

يتهدج صوتك تعجز عن نطقها...كلمة (يُمه)...

المكان لا يليق بقدسية المرأة التي تذررت بالسواد منذ صوبت المبادق نحو صدر ابيك و هو موثق الى نخلة.. مذ منعت من البكاء علنا عليه.. مذ صارت تعمل في خدمة البيوت المترفة للضباط الكبار.. مذ قتلها البكاء على شقيقك الاكبر سنا..

انشقت الارض و ابتلعتهما...

اغلقت عينيها ابدا.. و هي تسأل الكون اللامتناهي عن بقعة قد يتواجدان فيها..

العيون المزرقة المخضر الملونة تطعنك..._

..لا تدري..._

هو ذلك ، مثلما لا تفهم أهمية الزمن بالنسبة لهم.. و هم يتسابقون معه.. انت الغريب من تعتاش على فتاتهم..

مخلوق بسحنة مختلفة يتحاشاها الجميع.. غيبته المسجون ، و اللقمة البائسة ، و المبحث عن ملجأ حيث لا يرون لك جذرا و لا جذع نخلة و لا ثمرا..

صورتها محطة المزجاج.. هذا لا يعني ابدا ان البلاد ليست بلادها.. لن يدمي قلبها حطام زجاج في غرفة الغريب..

الذهول يحيط بك و انت الى جوارها.. لديها قدرة هائلة على طرح اسئلة يتعذر ان تجيب عليها دون استخدام الفعل المساعد تشا □ (جا)4)..

كيف لك ان تشتل النخيل على السرير.. و تبسط وادي الرافدين؟؟؟؟؟؟؟؟.

شقاء لا تشبه امك و لا اختك.. دمىة جميلة.. تمنيت لو حظيت بها و انت صبي.. الدموع لا تترقرق في عينيها.. و ليس بينها و بين حزنك السومري عشرة...

_الجثث جعلت من الكلاب ذئابا..

صوته يتدحرج ككل حصى الذكريات البعيدة المغبرة..

_التحق بالقوات الامريكية!!

فكرة يائسة المقت بك في معسكر الصحراء (رفحاء) (5) حيث تمنيت لو انك جزء من الرمال المترامية الاطراف لا شهيق يعلو و لا زفير يهبط..

_انت عراقي؟؟؟؟

سؤال اشبه بتهمة..

تركلم الجدار.. تركلم مؤخره صاحب المطعم.. تركلم المرفيق بملابسه الزيتونية و هو يطلق رصاصة الرحمة على رأس ابيك المخائن المجوسي.. تركلم البضاعة التي لا تعرف بيعها و انت مجرد طفل بائك لاجل لعبة في المعربة المجاورة.. تركلم سر الارض التي ابتلعت شقيقك.. تركلم الحدود بينك و بين دول العرب.. تركلم مطاراتهم التي لا تستقبلك.. تركلم الماضي كله دون حاضر بين يديك دون مستقبل لا تغترب فيه..

هل تركلم النخيل؟؟؟؟؟؟.

انه ينمو داخلك.. كما ينمو حزنك على وجه امك و هي تحتضر، و تستحضر ارواح المغيبين، و تحصيههم و تنادي عليهم واحدا إثر الآخر..

مجيد..سالم..حسن..هادي..

_انا هنا يمه...

انها لا تسمع كما هو دجلة حين تسأله عنه.. تبحث عن جثته المطافية و قد تورمت و ضاعت ملامح وجهها..

و من جديد تتجه نحو مشرحة الطب العدلي..

رأس كلب خيط الى جثة شوها التعذيب..

تتقياً.. تتقياً.. المرأة تبكي و هي ترش الماء على وجهك.. تناديك من خلال غيبوبتك:

_هل وجدته؟ هل تعرفت عليه؟؟؟؟

المشقيق الاخير.. من يشبه اباك تماما..

كيف ستقول لها انك لم تعثر على الجثة؟؟؟؟؟؟؟؟....

زوجته مدثرة بالسواد ايضا، و لا عزاء ينصب.. دون جثة.. و لا حتى رأس..

تحتضن.. الذخارف، و المقابض الفضية، و المنقوش الرائعة، تلح بسؤالك عند المضريح...

لا جواب في الكاظمية، لا جواب في كربلاء، لا جواب حتى في مقابر المنجف..

حزنك اصبح لغزا محيرا.. تربت برفق بيدها المشذبة الماظفر..

انا اسفة!!!!!!

تركلك الجدار الماصم من جديد..

هذه البلاد تنيراً من فعل سفاحيها على اراضيها.....

تلتفت اليك..؟؟؟؟؟؟؟؟

_ليس ذنبي كيف تعيشون هناك..

تهز كتفيها.. تحمل الحقيبة و تمضي..

شقاء اخرى تبعد ابنتها عنك محذرة اياه من التحدث الى الغرباء...

تجهش بالبكاء..

الشمس تخترقك حتى المعظم ، و لنا ظل لك على اخضرار العشب النظيف جدا دون ذرة غبار.....

(1) المخلّفة هو الماسطة او رئيس عمال المبناء

(2) مقطّع من قصيدة "غريب على الخليج" للسياب

(3) اغنية حزينة عن الامم للمطربة العراقية زهور حسين.

(4) تشا او جا كلمة تميز لهجة اهل الجنوب في العراق

□ (5) معسكر حدودي بين العراق والسعودية اقامته القوات الامريكية عام 1991 لاستقبال العراقيين المهاريين من حكم صدام وتم من خلاله ترحيلهم الى بلدان اخرى بديلة في اوربا و امريكا.

د.ماجدة غضبان

كاتبة عراقية

طبيبة بيطرية